الأهرام

المصدر: الشرق الاوسط

التاريخ: ٩ اكتوبر ١٩٩٥

حول الحل الاحتكاري الأميركي للمصالحة الفلسطينية.الإسرائيلية

بعد التوقيع في واشنطن باتت «فلسطين الصغرى» بأهمية الكويت

فؤاد مطر

في الاحتفال التاريخي الذي جرى في البيت الابيض يوم الخميس 28 سبتمبر (ايلول) 1995 وتم خلاله التوقيع على اتفاق المرحلة الانتقالية للحكم الذاتي الفلسطيني ابدى الرئيس بيل كلينتون ارتياحه للحضور الدولي والعربي الكبيرين في احتفال التوقيع. وبدا في ملاحظته تلك كمن يرد على تساؤلات كثيرة من بينها: اين بقية دول العالم ولماذا لم يتم اشراكها في هذه المناسبة التاريخية؟

وغياب، او تغييب، هذه الدول هو تاكيد لاصرار الرئيس كلينتون على الاحتكار الاميركي لمهرجان المصالحة الفلسطينية ـ الاسرائيلية. وهو عندما وجه الدعوة الى البعض وتجاهل الاخرين الكثيرين فانه فعل ذلك استنادا الى ظاهرة الاحتكار في الدرجة الاولى وليس لان القاعة الشرقية في البيت الابيض حيث جرى الاحتفال لا تتسع لمزيد من الضيوف.

والملاحظ ان الذين حضروا كانوا، اذا جاز التعبير، جبهة الحل الاميركي للقضية الفلسطينية وانهاء الصراع العربي ـ الاسرائيلي، والتي تضم الاطراف المعنية مباشرة بفكفكة الصراع بدءا من الرئيس حسني مبارك وانتهاء بوزير خارجية الفاتيكان مرورا بالملك حسين ورئيس وزراء اسبانيا فيليبي جونزاليس. إما مشاركة وزير خارجية اليابان فانها لرغبة من الادارة الاميركية في اقحام الدولة المقتدرة ماليا في المرحلة الاهم وهي مرحلة ما بعد التوقيع حيث يصبح من الضروري تامين الاحتياجات المالية للدولة الجديدة التي هي «فلسطين الصغرى» من دون اسقاط احتياجات «اسرائيل الكبرى» ومطالبها خصوصا ان المطالب لن تتوقف وستكون هذه المرة مدعومة بمسالة السلام الذي تحقق والذي قد تتصرف اسرائيل على اساس انها هي التي خدمت العالم الصناعي (واليابان احدى قلاعه الرئيسية) بموافقتها على حل للفلسطينيين يحقق لهم الحكم الذاتي ويحقق للدول الصناعية المزيد من الازدهار.

ولو ان القرار الدولي الكبير لانهاء الصراع العربي ـ الاسرائيلي لم يتخذ في مؤتمر جرى عقده في مدريد لما كانت تمت دعوة رئيس وزراء اسبانيا. كما انه لو لم تتم في اوسلو الخطوة الاولى على طريق المصالحة الفلسطينية ـ الاسرائيلية لما كانت تمت دعوة وزير خارجية النروج. اما مشاركة وزير خارجية روسيا فلان دولته هي الشريكة في الحل علماً بان حصتها في المشاركة لا تتجاوز الواحد في المائة وهذا يؤكد مقولة الرئيس (الراحل) انور السادات وفي مرحلة مبكرة ان تسعين في المائة من اوراق الحل هي في يد الولايات المتحدة.

وعلى رغم الاحتكار الاميركي للمصالحة الفلسطينية ـ الاسرائيلية فان الاتفاق الذي توصل اليه اعداء الامس الذين صاروا ابناء عمومة ـ على حد تعبير الرئيس عرفات ـ يبدو هشاً، لانه دون الحد الادنى من الطموحات الفلسطينية ودون الحد المعقول من التمنيات العربية، ولانه في الوقت نفسه فوق الحد الاقصى من الامال والمكاسب الاسرائيلية. ولكن قوة الاتفاق هي انه بات ايضا مكسبا استراتيجيا اميركيا، اي بمعنى آخر ان الولايات المتحدة يمكن ان تتعامل مع من يجرب تقويضه في شكل او آخر بالطريقة التي تعاملت بها مع العراق الذي جرب ان يضع يده على الكويت. ومن هنا فان ما يقوله المعارضون للاتفاق من سورية الى ايران الى ليبيا لا يشكل مخاوف على الاتفاق فضلا عن ان اسرائيل التي كانت تحارب في الماضي من اجل ان تصل الى ما وصلت اليه يوم 28 ايلول/سبتمبر 1995 قد تحارب الى جانب السلطة الفلسطينية اي اطراف عربية يمكن ان تقوض الوضع المستجد وسيكون مثل هذا الامر قمة الانحدار في الصف العربي. وهو اذا كان امراً يدعو الى الدهشة الان فانه في اي لحظة قد يبدو انه من الامور الممكنة الحدوث.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

وحتى اشعار اخر لا يبدو ان الاتفاق الفلسطيني - الاسرائيلي الذي تعتبره الادارة الاميركية من احدى ابرز قضاياها الاستراتيجية، معرض الى اي انتكاسة. لكن الخطر الكبير الذي يواجهه في المستقبل القريب هو عدم توافر المال. وفي ضوء الدعم الخليجي الكبير والمبرمج للدولة الفلسطينية المستجدة واقحام اليابان طرفا في جبهة حماية الاتفاق يتجاوز، او يتساوى من حيث الاهمية والتاثير، مع الطرف الروسي، فان المخاطر ستتبدد. ولقد انقضى على الوعد الذي حصل عليه الجانب الفلسطيني بعد

مؤتمر دولي شهدته واشنطن مطلع تشرين الاول / اكتوبر 1993 عامان. وفي ذلك المؤتمر تلقت السلطة الفلسطينية وعداً بمساعدات تبلغ ملياري دولار على خمس سنوات ولكن التسديد لم يتم وفق الوعود فضلا عن ان اتفاق توسيع الحكم الذاتي تاجل سنة لاسباب اسرائيلية وبذلك ضاعت سنة على السلطة الفلسطينية. واذا تعاملت الدول المانحة مع الامر بحماسة فان المخاطر ستزول بالتدرج من طريق الاتفاق. اما اذا لم يحدث ذلك فان السلطة الفلسطينية ستبقى هدفا للذين يعارضون وابرزهم الحكم السوري الذي يملك تجربة ناجحة في مجال اسقاط الاتفاقات مع اسرائيل عندما نجح في اسقاط اتفاق 17 ايار / مايو 1983 بين لبنان واسرائيل، هذا مع الاخذ في الاعتبار ان اسقاط ذلك الحكم للاتفاق المشار اليه تم بسبب توافر ثلاثة عوامل اساسية غير متوافرة تماما الان. الاول ان سورية لم تكن بدات محادثات مع اسرائيل. والثاني انها متواجدة سياسيا وعسكريا في لبنان. والثالث ان حضورها داخل الصف الفلسطيني كان قويا وكانت في نظر العرب رمزا للدولة الصامدة امام اسرائيل.

وفي ضوء ذلك فان المجال بعد اتفاق توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني هو لمعارضة هذا الاتفاق وليس لاسقاطه، إلا اذا نجحت سورية في تكوين جبهة تضم لبنان والعراق وايران ومعها حماس واحزاب الله والسودان وليبيا والشتات الفلسطيني المعارض تعيد الى الاذهان زمن جبهة الصمود والتصدي، وتحاول استقطاب مواقف دولية الى جانبها بصورة علنية او بشكل غير مباشر ونعني بهذه المواقف تلك الدول التي لا تريد ان يصل الدور الاميركي الى حد الاحتكار كما حدث. وفي استطاعة مثل هذه الجبهة ان تكون اداة ضغط فاعلة الا انها ايضا لن تتمكن من اسقاط ذلك الاتفاق لسبب اساسي هو ان الادارة الاميركية تعتبر اسقاط ذلك الاتفاق بمثابة اسقاط للنظام العالمي الجديد الذي ستتولى قيادته. ومن اجل ذلك فان الدول التي لا تريد للدور الاميركي ان يصل الى حد الاحتكار لن تجاري الموقف العربي - الاسلامي الذي يمكن ان ينشأ، لانها عمليا لا تتقاطع مع النظام العالمي الجديد وتشكل جزءا من بعض مفاصله الاساسية. واهم هذه الدول بريطانيا وفرنسا اللتان سينكر رئيس كل منهما للرئيس عرفات انه زاره وهو في طريقه الى واشنطن. ومن تابع عبر شاشة التلفزيون الابتهاج الذي ظهر على قسمات وجه كل منهما والانهماك بالضيف الزائر عند استقباله وعند التقاط الصور معه وعند توديعه ادرك لا بد عمق ضيق الاثنين من الاحتكار الاميركي للحل الفلسطيني - الاسرائيلي، وادرك ولا بد بعد نظر الرئيس عرفات وحذاقته في تسليف بريطانيا وفرنسا موقفين مهمين. ولنتصور اي شعور بالضيق كان يمكن ان يحدث لو ان التوقيع على الاتفاق تم في البيت الابيض من دون لفتة ابو عمار نحو الرئيس جاك شيراك ثم نحو رئيس وزراء بريطانيا جون ميجور. أليس امر الدولتين الكبريين كان سيبدو مثل امر اي دولة عادية؟

ولا ندري لماذا لم تشمل اللفتة العرفاتية المستشار كول خصوصا وان الرئيس الالماني سبق ان زار ابو عمار في دولته المغلوبة على امرها ووعد خيرا. وبدت عدم لفتته هذه مثل عدم لفتته في ان يشمل ليبيا في جولته المغاربية التي بدأت بالمغرب وانتهت بموريتانيا مرورا بالجزائر وتونس. واغلب الظن انه بسبب الازمة الناشئة عن ترحيل الفلسطينيين من ليبيا لم يعرج الرئيس عرفات على طرابلس، علما بان مثل هذه اللفتة كانت ستضع حدا لهذه المحنة التي يواجهها بضعة الوف من الفلسطينيين نتيجة للمزاج الليبي الذي ليس هنالك من يفهم فيه مثل ابو عمار، لكنها في الوقت نفسه كانت ستسبب الكثير من الانزعاج للمحتكر الاميركي. وهذا المحتكر مزاجه كثير الحدة وشبيه بالمزاج الليبي.

وبعد يوم 28 ايلول / سبتمبر 1995 بات ابو عمار بشكل عملي جزءا من النظام العالمي الجديد. ومثل هذا الانتساب الى هذا النظام يجعله يحسب حسابا دقيقا خصوصا وان الحل لم يخرج من فوهة البندقية الفلسطينية وانما من القاعة الشرقية في البيت الابيض بعد نجاح مدهش للرئيس حسني مبارك في القدرة على جمع الرأسين الفلسطيني والاسرائيلي... بالاتفاق و التفاهم.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية